المحور الرابع : ممالك السودان الشرقي .

المحاضرة رقم 9 :

ممـــالك النوبة .

المحاضرة رقم 10 :

مملكـــــة الفونج .

المحاضرة رقم 11 :

مملكـــــة دارفور .

المحاضرة رقم 12 :

مملكـــــة الحبشة .

المحور الرابع : ممالك السودان الشرقي .

تشمل بلاد السودان الشرقي الحوض الأعلى لنهر النيل أو ما يقع جنوب مصر ، و تمتد على الجهة الشرقية من إفريقيا ، و قد ظهرت في هذه المنطقة العديد من الممالك التي لها تاريخ ضارب في القدم .

أولا : ممالك النوبة .

يطلق لفظ النوبة على أجزاء وادي النيل الممتدة على جانبي نهر النيل الأعظم بين مدينتي أسوان و الخرطـــوم الحالية ، و قد قسّـــم الجغرافيون إقليم النوبة إلى ثلاثـــة أقسام هي ، وادي النوبة العليا و وادي النوبة الوسطى و وادي النوبة السفلى .

أمّا وادي النوبة العليا فيمتد من منطقة التقاء النيلين الأبيض و الأزرق إلى دنقلة ، و قامت في هذه المنطقة دولة كوش و كانت عاصمتها نباتا ثمّ مروى ، أمّا وادي النوبة الوسطى فيمتد من دنقلة إلى حلفا ، و يمتد وادي النوبة السفلى بين وادي حلفا و أسوان ، و قامت في هاتين المنطقتين النوبة السفلى و الوسطى مملكة النوبة الشمالية و أُطلق عليها اسم مقرَّة و عاصمتها دنقلة[1] .

و جاء في النقوش المصرية القديمة ذكر كلمة نوب "Nubu" و معناها الذهب أي بلاد الذهب ، و هذا أحد الأسماء التي أطلقها المصريون القدماء على هذه البلاد[2] ، أمّا اليونانيون فأطلقوا على هذه الأقاليم كلها اسم إثيوبيا ، و ورد ذكر الإثيوبيين في أشعار هوميروس و نوّه بمكانتهم عند الآلهة اليونانية[3].

و كان العرب قبل الإسلام يطلقون اسم الكوشيين على سكان بلاد النوبة نسبة إلى كوش بن نوح[4] ، و كانت النوبة جزءا من بلاد كوش التي امتدت من الشلال الأول جنوبا إلى جهات النيل الأزرق و كردفان ، و يُرجَّح ظهور هذه الدولة في القرن 8 ق.م على يد سلالة من كهنة أمون الذين هجـــروا طيبة نحو منتصف القرن 10 ق.م على إثـــر تولية شاشانق الأول الليبي حكـــم مصر ، و أنشأت هذه السلالة الكهنوتية دولة جعلت عاصمتها نباتا (400كلم شمال الخرطوم) استقلت

---

[1] د/مصطفى محمد سعد، **الإسلام و النوبة في العصور الوسطى**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2011م، ص 17 و ما بعدها .

[2] نفسه، ص 22 .

[3] نفسه، ص 23 .

[4] د/ بشار أكرم جميل الملاح، مرجع سابق، ص 79 .

عن مصر ، و قد قام ملوك هذه الأسرة بضم مصر و أسسوا الأسرة الخامسة و امتد حكمهم من سنة 715 ق.م إلى سنة 662 ق.م ، و انتهت على يد الأشوريين الذين احتلوا مصر[1] .

ثمّ فقدت نباتا عاصمة كوش أهميتها منذ بداية القرن 6 ق.م و انتقل مركز الحكم و الإدارة إلى مروى ، فقامت ببلاد النوبة مملكة مروى ، و يطلق البعض على هذه المملكة الدور المروي من تاريخ مملكة كوش و الذي امتد من 300 ق.م إلى 250 ق.م ، و عاصر هذا الدور حكم البطالمة ثمّ الرومان في مصر[2] ، و استمرت المملكة حتى سقوطها في القرن 4م في يد مهاجمين قادمين من الممالك النصرانية في الحبشة[3] .

و بعد هذا انتشرت المسيحية في بلاد النوبة ، و عرفت المنطقة ثلاث ممالك نصرانية هي من الشمال إلى الجنوب :

- مملكة نوباديا "Nobadia" و عاصمتها فرس (حوالي 500 كم جنوب أسوان) .
- مملكة المقُرَّة "Makuria" و عاصمتها دنقلة (حوالي 400 كم شمال الخرطوم)[4] .

و قام اتحاد بين هاتين المملكتين عرف بمملكة النوبة ، و صاحب ذلك نشوء حكومة مركزية قوية عاصمتها دنقلة[5]

- مملكة علوة في الجنوب و عاصمتها سوبا (جنوب الخرطوم على النيل الأزرق)[6] .

و بعد استقـــرار المسلمين في مصر قرروا تأمين حدودها الجنوبية ، فجهزوا حملة بقيادة عبد الله بن أبي سرح سنة 21هـ/641م للهجوم على النوبة و عاصمتها دنقلة إلا أنّها فشلت ، و كان لشراسة النوبيين و تمكنهم من الرمي بالسهام للحد الذي سمُّوا فيه برماة الحدق لتصويبهم السهام في حدقة العيون دور في انسحاب المسلمين ، و عاود المسلمون بقيادة عبد الله بن أبي سرح الهجوم مرة ثانية سنة 31هـ/651م ، و جهز جيشه هذه المرة بالمنجنيق ليضرب به حصون أهل النوبة و من تم دفعهم للإستسلام ، و فعلا فقد عرضوا عليه الصلح و عقدوا معاهدة معه أطلق عليها معاهدة البقط

---

[1] د/مصطفى محمد سعد، مرجع سابق، ص ص 37-38 .

[2] نفسه، ص 38 .

[3] د/بشار أكرم جميل الملاح، مرجع سابق، ص 79 .

[4] ك.ميخالوفسكي، **انتشار المسيحية في النوبة** (تاريخ إفريقيا العام)، اللجنة الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام (اليونسكو)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1988م، ج2، ص 332 .

[5] س.ياكو بيبلسكي، **النوبة الميسيحية في أوج ازدهـــارهـا** (تاريخ إفريقيا العام)، اللجنة الدوليـــة لتحرير تـــاريخ إفريقيا العام (اليونسكو)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1988م، ج2، ص 223 .

[6] ك.ميخالوفسكي، مرجع سابق، ص 332 .

و التي استمر الإلتزام بها لستة قرون كاملة ، و من بين بنودها إعطاء النوبيين عهد الأمان و السماح لهم بدخول مصر مجتازين غير مقيمين ، و أن يدفع النوبيون 360 رأسا من الرقيق كل عام شريطة أن لا يكون بينهم طفلا أو شيخا هرما مقابل الحصول على المواد الغذائية من مصر[1].

و كان لقيام دولة المماليك في مصر سنة 648هـ/1250م دور كبير في القضاء على المملكة النصرانية في النوبة ، حيث قادوا حملة عسكرية كان على رأسها الظاهر بيبرس سنة 675هـ/1276م أنهت على إثرها الكيان السياسي المستقل للنوبة و وضعت حاكما نوبيا اسمـــه شكندة تابعـــا لها ، و كان للإنقسامات السياسية داخل بلاد النوبة دور كبير في زوال المملكة على نحو نهائي سنة 722هـ/1322م ليتسلم الحكم فيها عرب مسلمون من بني ربيعة من خلال حكم دولة الكنوز الإسلامية[2].

و يعتبر أبو المكارم هبة الله هو المؤسس الحقيقي لإمارة ربيعة الكبرى في أسوان و بلاد النوبة ، و ضمت الإمارة في عهده صعيد مصر الجنوبي و جزءا كبيرا من بلاد النوبة الشمالية التي تعرف باسم مريس ، و قد خلع عليه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله سنة 397هـ/1006م لقب كنـز الدولة ، و صارت منذ ذلك التاريخ تعرف هذه الإمارة باسم إمارة الكنوز أو بني كنز[3] ، و كانت العلاقة بين أمراء بني كنز و الدول المتعاقبة على مصر تتميز بالسلم و الحرب و التبعية و الإستقلال ، و جاءت الضربة القاضية لهذه الإمارة على يد الأتراك العثمانيين بعد فتحهم مصر سنة 922هـ/1517م ، ثمّ واجه الأتراك مملكة الفونج التي سيطرت على النوبة الجنوبية ، و عقد الطرفان معاهدة صلح سنة 925هـ/1520م جعلت مدينة حنك حدا فاصلا بين النوبة العثمانية و النوبة الفونجية ، و لم يعد لدولة الكنز أي وجود يمكن أن يؤرخ له منذ ذلك التاريخ ، و إن كان وجودهم كقبائل و مشيخات صغيرة ظل مستمرا حتى تمّ فتـح هذه البـــلاد على يد إسماعيل بن محمد علي سنة 1236هـ/1820م ، هذا الفتح الذي أزال معظم الكيانات السياسية التي كانت قائمة ، و من تم ظهر السودان بشكله السياسي الذي نراه اليوم[4].

---

[1] د/بشار أكرم جميل الملاح، مرجع سابق، ص ص 80-81 .

[2] نفسه، ص 83 .

[3] الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 228 .

[4] نفسه، ص 238 .